القفز فوق المشكلات

في الشهر الماضي، توقّفت أوساط سياسية ودبلوماسية، في المنطقة وخارجها، تجاه الاشارات الصادرة من غير طرف دولي الى أهمية قيام «نظام» ما للأمن والتعاون في الشرق الاوسط، من شأنه ان يساعد في استقرار دائم يضمن المصالح المتمثّلة في استمرار تدفّق النفط الى العالم الغربي، من جهة، ويحقق حل جميع الأزمات التي تعجّ بها المنطقة، من جهة أخرى.

في هذا الاطار، ثمّة اعتقاد راسخ لدى تلك الاوساط بأن أزمة الخليج أوجدت المخارج اللازمة، واستعجلت انضاج الظروف والاوضاع الملائمة لأحداث تغيّرات جوهرية على القوى الدولية المعنيّة بالنزاعات في المنطقة. ولعلّ أول التغيّرات التي فرضتها أزمة الخليج هو تخلّي الولايات المتحدة الاميركية عن اصرارها على الانفراد بحل أزمة الشرق الاوسط. فقد أعلن الرئيسان، الاميركي جورج بوش والسوفياتي ميخائيل غورباتشيوف، في «قمّة هلسنكي»، عن انهما سيعملان «معاً»، ومع بلدان المنطقة وتلك التي خارجها «لتحقيق هيكلية للأمن الاقليمي، واجراءات تؤدي الى السلام والاستقرار» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٠/٩/١٩٩٠). وثاني هذه التغيّرات، ما يمكن تسميته بـ «عدم الارتياح» الاسرائيلي تجاه السياسة الاميركية الحالية في الشرق الاوسط، و«التخوّف من ان التحالف الاميركي ـ العربي الجديد ضد العراق قد يؤدي الى ابتعاد واشنطن من اسرائيل» (**الواشنطن بوست**، ٦/٩/١٩٩٠). وثالث التغيّرات هو التقدم السوفياتي ـ الاسرائيلي نحو اعادة تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين، في محاولة من موسكو الى ممارسة دور كبير ومؤثر وفاعل في حل أزمة الشرق الاوسط، وهو أمر لم يكن سهلاً قبل أزمة الخليج، وان كانت موسكو تجاوبت، من قبل، مع الرياح الدولية الجديدة، بتفاهمها مع واشنطن على عدد من القضايا الرئيسة، من بينها هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل (دافيد ماكوفسكي، **جيروزاليم بوست ويكلي**، ٢٢/٩/١٩٩٠).

تحرّك مشترك

في اعتقاد عدد من المراقبين المتابعين، عن كثب، لتطوّرات العلاقة بين العملاقين، ان قمة هلسنكي، التي عقدت بين الرئيسين، الاميركي والسوفياتي، كانت «اختباراً» للعمل المشترك بين القوتين العظميين، بعد تحوّل الاتحاد السوفياتي من دور المنافس الى دور الشريك في تسوية النزاعات، في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. ودلّل هؤلاء المراقبون أنفسهم على هذا الاستنتاج بالاشارة الى انه، في اثناء محادثاته مع نظيره السوفياتي، رحّب الرئيس الاميركي بدور للاتحاد السوفياتي في المحور الجديد، القائم على الجمع بين المصالح والسياسات والامن. بل بدأ الرئيسان بوضع الآلية لتجسيد العزم على انهاء أزمة الخليج، ورسم خارطة «البنية الامنية الاقليمية بعيدة المدى»، في حال نجاح الجهود السياسية والدبلوماسية المبذولة لانهاء أزمة الخليج. وهذه الخارطة تتطلب، قطعاً، دوراً اميركياً عسكرياً طويل الأمد، ووجوداً عسكرياً «مستمراً» (دونالد نيف، **ميدل ايست انترناشونال**، ١٤/٩/١٩٩٠، ص ٣ ـ ٥).

الاستعداد، بل الحماس، السوفياتي للمشاركة في الهيكل الامني الاقليمي الجديد بدا واضحاً في تصريحات الزعيم السوفياتي، حين أشار الى «انقلاب» في المعارضة الاميركية لدور سوفياتي في دبلوماسية الشرق الاوسط، وتحوّلها الى دعوة الى التعاون. وبالنسبة الى تعاون موسكو وواشنطن في صدد النزاع العربي ـ الاسرائيلي، فانه، أولاً، قائم على الفصل بين أزمتي الخليج والشرق الاوسط، من منطلق رفض رهن الانسحاب العراقي من الكويت بانسحابات اسرائيل من على الاراضي العربية التي تحتلها، وثانياً، يقوم التعاون على الربط المعكوس